اقتباسات من محاضرات الشيخ الحبيب

كيف يكون الوطن المهدوي من موجبات الظهور؟

al-qatrah.net

القطرة

موقع رؤى ومحاضرات الشيخ الحبيب

al-qatrah.net

alqatrah@gmail.com

@Sheikh_alHabib

syalhabib

+447999997975

+441753355355

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاةُ والسَّلامُ

عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللهِ عَلىٰ أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ

كيف يكون (الوطن المهدوي) من موجبات الظهور؟

لطالما كرر الشيخ الحبيب في محاضراته وجلساته امتعاضه من استغراق البعض في البحث عن «علامات الظهور» وإهمال البحث عن «موجبات الظهور» التي يراها أولى بالبحث لدخولها في دائرة التكليف، علاوة على أن علامات الظهور خاضعة في معظمها للبداء وبالتالي يكون الإكثار من البحث فيها أو التركيز عليها بلا جدوى، بل إذا كان تعلق الإنسان فقط بهذه العلامات ويترك الإعداد للظهور بالعمل بالوظائف الدينية فهو آثم، وهذا ما يريده الشيطان (لعنة الله عليه) أن يجعلنا نهتم فقط بالعلامات ونترك الموجبات فلا يتغير شيء ويطول زمن الغيبة.

الشيخ لا يرفض أصل البحث عن العلامات، ولكنه يرفض الاستغراق فيها ومحاولات تطبيق العلامات على

الأحداث المعاصرة بتكلف، فهذه من وجهة نظره طريقة خاطئة وقد وقع فيها أيضا بعض العلماء للأسف الشديد قديما وحديثا وكانت لها عواقب سلبية على الأمة ومصيرها، فالشيء الذي يقبله الشيخ هو الإلمام بهذه العلامات كما رُويت وجعلها بالبال انتظارا لأمر الله (سبحانه وتعالى). هذا فقط يكفي.

ويعتبر الشيخ أن البحث عن «موجبات الظهور» هو الأولى، بمعنى تلك التكاليف التي يمكن أن يرحمنا الله إذا عملنا بها على أكمل وجه فيُعَجِّلَ ظهور وليه المهدي (صلوات الله وسلامه عليه) ولو على نحو البداء، فإذا كان الله (سبحانه وتعالى) قدّر الظهور في زمن معين فمن الممكن أن يعجِّله لنا ضمن دائرة المحو والإثبات «يَمْحُو اللّٰهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ».

وهناك حالة شبيهة بهذا الأمر ذكرها الشيخ الحبيب حيث استخرج رواية عن الصادق (عليه السلام) تقول: «بَعَثَ اللّٰهُ نَبِيّاً إِلَى قَوْمٍ فَشَكَا إِلَى اللّٰهِ الضَّعْفَ، فَأَوْحَى اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنَّ النَّصْرَ يَأْتِيكَ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِقِتَالِ بَنِي فُلَانٍ، فَشَكَوْا إِلَيْهِ الضَّعْفَ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ النَّصْرَ يَأْتِينِي بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. فَقَالُوا: مَا شَاءَ اللهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. قَالَ: فَأَتَاهُمُ اللهُ بِالنَّصْرِ فِي سَنَتِهِمْ تِلْكَ لِتَفْوِيضِهِمْ إِلَى اللهِ لِقَوْلِهِمْ: مَا شَاءَ اللهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». (مجموعة ورام ج1 ص16)

فهنا نلاحظ أن التقدير الإلهي الأولي كان عدم مجيء النصر إلا بعد 15 سنة ولكن بسبب أن قوم ذلك النبي على الرغم من ضعفهم فوضوا أمرهم إلى الله فقد كافأهم الله بالبداء فعجَّل لهم النصر بقضائه في السنة الأولى، وكان هذا الأمر نجاحا من هؤلاء المؤمنين في التكليف فكذلك نحن إذا نجحنا في تكليفنا فمن الممكن أن يعجل الله لنا الظهور المبارك لولي العصر (أرواحنا فداه).

ويقول الشيخ أن هناك نصًّا من إمامنا المهدي (أرواحنا فداه) يؤكد إمكان مساهمتنا في تعجيل الظهور المبارك، وهو قوله (صلوات الله وسلامه عليه): «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا - وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ - عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ

فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيل». (الاحتجاج للطبرسي ج2 ص499)

فهنا الإمام المهدي (عليه الصلاة والسلام) يقول لنا أننا إذا وفينا بالعهد المعهود علينا واجتمعنا على ذلك فإن هناك تعجيلا للفرج سيحصل ولن يتأخر اليُمن والسعادة بلقاء وبمشاهدة الإمام يحكم البلاد والعباد ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

ولكن ما هو هذا العهد الذي يجب علينا الوفاء به حتى يتعجل الفرج؟

هنا جاء دور الشيخ الحبيب وفقهه الخاص حيث طرح في إحدى جلساته المباشرة في قناتي فدك وصوت العترة (عليهم السلام) مثالا تطبيقيا واستنتاجيا لفت انتباه المؤمنين.

رتَّبَ الشيخ طرحه على النحو التالي:

1- معلومٌ بالضرورة أن العهد لا بد أن يكون منه العمل بأشياء تضمنها هذا العهد أو الميثاق، فوجب أن نبحث عن هذه الأشياء العملية التي يطلبها هذا العهد، أو أن نبحث عن كل ما نطق به الدين من أعمال وصفها اللسان الشرعي بأنها من العهد والميثاق حتى تشكل بمجموعها ذلك العهد أو الميثاق المبحوث عنه في المقام.

2- في طور البحث نجد أن المطلوبات الشرعية كثيرة، ولكن هناك طائفة خاصة منها عبَّر عنها اللسان الشرعي بأنها من العهد أو الميثاق لأهميتها، ومنها: «عمران بن ميثم، عن أبيه، قال: شهدت عليًّا (عليه السلام) عند موته يقول: «يا حسن»، فقال: «لبّيك يا أبتاه»، فقال: «إنّ الله تعالى أخذ الميثاق على أبيك وعلى كلّ مؤمن ببغض كلّ منافق وفاسق». (الأمالي للطوسي ص246)

3- إذاً (بغض كل منافق وفاسق) هو من العهد أو الميثاق المأخوذ على كل مؤمن منا، والآن كيف يتحقق هذا البغض؟ الجواب هو: أن البغض له لوازمه العملية كما يقول الفقهاء فعن الباقر (عليه الصلاة والسلام): «فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم». (الكافي للكليني ج5 ص56)، وهذا يعني أنه لا يكفي (البغض القلبي) فقط بل يجب أن يتعدى إلى (البغض اللساني) أي المجاهرة بالرفض والبراءة من كل منافق وفاسق.

4- من المعلوم بالضرورة من دين الشيعة أن أكبر منافق وفاسق هو أبو بكر وعمر وأصحاب السقيفة الملعونة فيجب إذاً المجاهرة بالتعبير عن رفضهم

والبراءة منهم، وبعبارة أخرى أداء واجب النهي عن المنكر وهو ولاية هؤلاء المنافقين والفاسقين.

5- من العهد والميثاق أيضا عدم سكوت العلماء أو تركهم لإرشاد التائهين والضالين كالمخالفين المساكين لأنهم إذا سكتوا أو لم يبالوا بهم كانوا من الخائنين:

«كَتَبَ أبو جَعفَرٍ عليه السلام إلى سَعدِ الخَيرِ : بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، أمّا بَعدُ، فَإِنّي اُوصيكَ بِتَقوَى اللهِ... وَالعُلَماءُ في أنفُسِهِم خانَةٌ إن كَتَمُوا النَّصيحَةَ، إن رَأَوا تائِهًا ضالًّا لايَهدونَهُ، أو مَيِّتًا لا يُحيونَهُ، فَبِئسَ ما يَصنَعونَ! لِأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أخَذَ عَلَيهِمُ الميثاقَ فِي الكِتابِ أن يَأمُروا بِالمَعروفِ وبِما أُمِروا بِهِ، وأن يَنهَوا عَمّا نُهوا عَنهُ، وأن يَتَعاوَنوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوى ولايَتَعاوَنوا عَلَى الإِثمِ وَالعُدوانِ». (الكافي للكليني ج8 ص52)

6- لا بد إذا وجدنا نقضا لهذا العهد والميثاق أن نظهر الغضب على التاركين خاصة إذا كانوا من العلماء الذين أخذ الله عليهم هذا العهد والميثاق. فمن كلام

للإمام علي (عليه الصلاة والسلام) يلوم به أصحابه:
«وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ».
(نهج البلاغة 105)

وفي الحقيقة إن إمامنا المهدي (عليه الصلاة والسلام) كشف في توقيعه الشريف للشيخ المفيد (رضي الله عنه) أن الشيعة قد تولَّوْا عن سيرة سلفهم الصالح فنبذوا هذا العهد المأخوذ عليهم، وذلك قبل نحو ألف سنة، مع أنهم حينذاك كانت عامتهم أكثر تديُّنًا والتزامًا بالنسبة إلى ما هم عليه الآن! فلا شك - إذًا - أن نبذهم للعهد الآن أفظع! وهذا هو ما يسبب تأخر الظهور!

قال (عجل الله فرجه): «فإنّا يحيط علمنا بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا

بالزلل الذي أصابكم مُذْ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون»! (الاحتجاج للطبرسي ج2 ص495)

إلى الآن توصلنا إلى هذه النتائج:

- التعجيل بالظهور يتطلب العمل بالعهد والميثاق المأخوذ علينا.

- من العهد والميثاق المأخوذ علينا بغض كل منافق وفاسق.

- بغض كل منافق وفاسق يتطلب شرعًا الإنكار بالقلب واللفظ باللسان والمجاهدة بالأبدان = المجاهرة بالرفض والبراءة.

- أبو بكر وعمر وأصحاب السقيفة الملعونة أكبر المنافقين والفاسقين فتجب المجاهرة برفضهم والبراءة منهم والنهي عن منكر ولايتهم = منهج أهل العالم الأول.

- لا يجوز للعلماء إهمال التائهين والضالين الذين تولَّوْا المنافقين والفاسقين بل يجب عليهم هدايتهم وإحياؤهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فإذا لم يفعلوا ذلك فقد نقضوا العهد والميثاق الذي فرضه الله (سبحانه وتعالى) عليهم فيعتبرون من الخائنين وبئس ما يصنعون = منهج تحرير الإنسان الشيعي.

- لا يجوز للمؤمنين أن يَرَوْا العهد والميثاق منقوضا بدون أن يظهروا الغضب لله (سبحانه وتعالى) = منهج الشيخ في التعامل مع الرجال الساعين في هدم الإسلام مثالا.

والخلاصة أن من موجبات أو مقتضيات التعجيل بالظهور - إن شاء الله - هو أن يتحلى كل مؤمن منا بهذه الصفات: (بغض المنافقين والفاسقين، والجهر بالرفض والبراءة، وإظهار الغضب وعدم السكوت).

وهذه الأمور تتطلب قبل كل شيء أن يكون الإنسان الشيعي شجاعا، وإلا فإنه سيجبن عن مواجهة

المنافقين والفاسقين والجهر بالرفض والبراءة، وسيخاف من ردود الأفعال وعواقب الأعمال.

إن الشجاعة جاءت على رأس ما ذكره الشيخ المفيد من صفات يجب أن تتوفر في عِدَّةِ أنصار الإمام المهدي (عليه الصلاة والسلام) البالغة 313 رجلا، فمع أن عدد الشيعة كثير بمئات الملايين إلا أن هذه الصفات نادرةٌ فيهم ولم تتوفر العِدَّةُ المطلوبة الحائزة عليها، ولذلك يتأخر ظهور الإمام (عليه الصلاة والسلام)!

يقول الشيخ المفيد (رضوان الله عليه): «حضرت مجلس رئيس من الرؤساء، فجرى كلام في الإمامة، فانتهى إلى القول في الغيبة. فقال صاحب المجلس: أ ليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد عليه السلام: إنه لو اجتمع للإمام عِدَّةُ أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً لوجب عليه الخروج بالسيف؟

فقلت : قد روي هذا الحديث.

قال: أوَ لسنا نعلم يقينًا أن الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدة أهل بدر، فكيف يجوز للإمام الغيبة مع الرواية التي ذكرناها؟

فقلت له: إن الشيعة وإن كانت في وقتنا كثيرا عددها حتى تزيد على عدة أهل بدر أضعافا مضاعفة، فإن الجماعة - التي عدتهم عدة أهل بدر إذا اجتمعت فلم يسع الإمام التقية ووجب عليه الظهور - لم تجتمع في هذا الوقت، ولا حصلت في هذا الزمان بصفتها وشروطها. وذلك أنه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم:

1- الشجاعة.

2- والصبر على اللقاء.

3- والاخلاص في الجهاد.

4- وإيثار الآخرة على الدنيا.

5- ونقاء السرائر من العيوب.

6- وصحة العقول.

7- وأنهم لا يَهِنون ولا ينتظرون عند اللقاء.

ويكون العلم من الله تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف.

وليس كل الشيعة بهذه الصفة، ولو علم الله تعالى أن في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه لظهر الإمام عليه السلام لا محاله، ولم يغب بعد اجتماعهم طرفة عين، لكن المعلوم خلاف ما وصفناه، فلذلك ساغ للإمام الغيبة على ما ذكرناه». (رسائل في الغيبة للشيخ المفيد ج3 ص11)

ومن الجدير أن نلاحظ هنا أن الشيخ المفيد كما بدأ بالشجاعة في قائمة الصفات، انتهى أيضا بصفة «أنهم لا يَهِنون ولا ينتظرون عند اللقاء»، أي أنه (رحمه الله) بدأ بالشجاعة وختم بها، وهو ما يعطينا صورة واضحة عن مدى أهميتها.

نعم، إن الشجاعة أبرز صفة ينتظرها الإمام المنتظر (عليه الصلاة والسلام) من شيعته المخلصين. شجاعة هائلة إلى حد أن الرجل لا ينتظر عندما يلقى العدو بل يبادر مسرعا مستعجلا للشهادة.

يقول الشيخ الحبيب إن علينا العمل على زرع هذه الصفات في نفوس الشيعة حتى يستخلص منهم 313 يحملونها بجدارة ويتعجل ظهور الإمام (عليه السلام)، وإذا أردنا أن نكون واقعيين فإن صقل الشخصيات بهذه الصفات الاستثنائية لا يتحقق دون (اجتماع)، وهذا ما يُفهم من قول إمامنا المهدي عليه السلام: «ولو أن أشياعَنا - وفّقهمُ اللهُ لطاعتِه - على اجتماعٍ من القلوب في الوفاءِ بالعهدِ عليهم، لما تأخَّر عنهمُ اليُمْنُ بلقائِنا، ولتعجَّلَتْ لهمُ السعادة بمشاهدتنا».

إنه من دون تجمع بشري في موقع خاص تتكون فيه بيئة مهدوية تكفل تهذيب الأفراد وتدريبهم بشكل مركز بما يجعل هذه الصفات الاستثنائية مَلَكَةً فيهم؛ يصعب جدا صقل وإعداد مَن يُرجى أن يُنتخَبَ ليكون من العِدَّةِ المطلوبة لتعجيل الظهور المقدس. وإن من يكابر في نفي ذلك كمن يقول أنه يمكن إعداد وتأهيل جيش من دون (اجتماع) في موقع خاص تُتَلقَّى

فيه الدروس العسكرية النظرية وتجري فيه عمليات الصقل والتأهيل العملية مع التدريبات والمناورات، وأنه يكفي لإعداد هذا الجيش أن يجتمع أفراده في غرفة افتراضية على الإنترنت وأن يتدرَّب كلٌّ منهم بنفسه منفردًا!

إن مواد الشريعة في الحث على التعاون، والتواصي والتلاقي، والتآزر والتناصر، والتلاحم والتراحم، وعقد الجماعات والمجالس، ورصِّ الصفوف، ونظم الأمر.. كلها تصب في مصب واحد هو (الاجتماع)، أي تكوين مجتمع خاص، أو مجتمعات خاصة في مواقع متعددة، فإن (الاجتماع) بطبعه يفيض على المجتمع فكرا مشتركا وثقافة مشتركة، ويضمن نشوء الأجيال عليها حتى تصبح ملكات راسخة في النفوس، أما هذا التشظي الذي نحن فيه حيث كل فئة منا تعيش في قطر من الأقطار فتحمل اعتلالاته الاجتماعية المنافية للتطلعات المهدوية؛ فلن يصلحها بقاؤها على ما هي عليه واكتفاؤها بتلقي هذا المنهج التأهيلي عبر

القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت! ذلك لأن قوة الثقافة المجتمعية التي تقتحم حياة الفرد يوميا تصهر - في غالب الأحيان - قوة الثقافة المتلقّاة إعلاميا ولو حرص على تلقِّيها الحريصون. ومن هنا كثيرا ما تجد رجلا قد تعبَّأ بالمنهج الرافضي أحسن التعبئة، لكنه إذ بقي في مجتمع معتل مختل؛ لا يستطيع الفكاك من اعتلالاته النفسية، كالجبن مثلا، فلا تراه قادرا على أداء أي دور في إعمال العهد المأخوذ علينا حتى يتعجَّل لنا ظهور مولانا (صلوات الله عليه)، لافتقاد الرجل الشجاعة الكافية للإقدام على هذه الخطوة أو تلك، نظرا لتأثره بثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه. زد على ذلك أن (الاجتماع) بطبعه يقوّي النفوس إذ يتشجَّع كلٌّ بالآخر، كما أنه يبلور الفكر ويشحذ الهمم وينمي المهارات.

من هنا يظهر مدى الحاجة الملحة لتأسيس: (الوطن المهدوي)، وكيف أنه بات ضروريا لتحقيق موجبة من موجبات الظهور والتعجيل به إن شاء الله

تعالى، ذلك لأن هذا الوطن إنما هو في الحقيقة محاولة لتحقيق: «ولو أن أشياعَنا - وفّقهمُ اللهُ لطاعتِه - على اجتماعٍ من القلوب في الوفاءِ بالعهدِ عليهم، لما تأخَّر عنهمُ اليُمْنُ بلقائِنا، ولتعجَّلَتْ لهمُ السعادة بمشاهدتنا».

(الوطن المهدوي) اجتماع من القلوب بغرض الوفاء بالعهد الذي نبذته عامة الشيعة منذ ألف عام، عهد بغض المنافقين والفاسقين ومجاهدتهم.

إنها عودة لما كان عليه السلف الصالح، فنحن نقرأ في السيرة أنهم أسسوا لأنفسهم أوطانا، كقم المقدسة في إيران، والقرى السبع التي أسسها الشريف المرتضى في العراق. بل إن أئمتنا الأطهار (عليهم السلام) أسسوا أوطانا لشيعتهم وذراريهم في الجزيرة المحمدية، كقرية العريض وقرية صريا.

ولقد حدَّد سماحة الشيخ الحبيب أهداف (الوطن المهدوي) بثلاثة أهداف رئيسية:

1- تجميع الطاقات البشرية في مكان واحد وإتاحة الفرصة لها لكي تتفرغ لخدمة إمام العصر (عليه الصلاة والسلام) ونشر التشيع في العالم والتمهيد للظهور الشريف بمختلف الأعمال، فلا يضطر الفرد لإهدار طاقته وإضاعة حياته في وظائف ومهن أخرى من أجل لقمة العيش، خاصة وأن كثيرا من تلك الوظائف والمهن يكون فيها الفرد أسيرا لدى الحكومات الجائرة أو الشركات التجارية، وبعضها لا يخلو من إشكال شرعي.

2- تربية النشء والأجيال تربية مهدوية خاصة في مجتمع متدين وبيئة أخلاقية نظيفة تجعل الفرد منذ نعومة أظفاره متعلقا تعلقا وثيقا بإمام زمانه (عليه الصلاة والسلام) لا يشغل باله شيء إلا التمهيد لظهوره الشريف.

3- توفير الملاذ الآمن للمضطهدين وخاصة المتشيِّعين، وتوفير الحرية التي تسمح لهم بالانطلاق في التعبير عن عقيدتهم وآرائهم والدعوة لموالاة محمد وآل

محمد (عليهم السلام) والبراءة من أعدائهم (عليهم اللعنة).

الأمل المنشود هو تكوين مجتمع من المواطنين الذين يتنفسون في هذا الوطن هواء الحرية وقد ائتلفوا وتناصروا من أجل الله ورسوله وأهل بيته الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)، وبذلك يستوجبون محبتهم، ففي الحديث القدسي الشريف: «حَقَّتْ محبتي للذين يتصادقون من أجلي، وَحَقَّتْ محبتي للذين يتناصرون من أجلي».

وفيما أوحى الله لداود عليه السلام: «يَا دَاوُدُ أَبْلِغْ أَهْلَ أَرْضِي أَنِّي حَبِيبُ مَنْ أَحَبَّنِي، وَجَلِيسُ مَنْ جَالَسَنِي، وَمُونِسُ لِمَنْ أَنِسَ بِذِكْرِي، وَصَاحِبُ لِمَنْ صَاحَبَنِي، وَمُخْتَارُ لِمَنِ اِخْتَارَنِي، وَمُطِيعٌ لِمَنْ أَطَاعَنِي. مَا أَحَبَّنِي أَحَدٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ قَبِلْتُهُ لِنَفْسِي وَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لاَ يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي. مَنْ طَلَبَنِي بِالْحَقِّ وَجَدَنِي، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدْنِي، فَارْفُضُوا يَا أَهْلَ اَلْأَرْضِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ غُرُورِهَا، وَهَلُمُّوا إِلَى

كَرَامَتِي وَمُصَاحَبَتِي وَمُجَالَسَتِي وَمُؤَانَسَتِي، وَآنِسُونِي أُؤَانِسْكُمْ وَأُسَارِعْ إِلَى مَحَبَّتِكُمْ».

إن (الرفض) مفهوم أوسع من مجرد رفض أبي بكر وعمر (لعنهما الله). إن كل شيء من الأمور الدنيوية يصبح الشغل الشاغل للإنسان حتى يغتر ويلتهي به وينسى واجبه الديني تجاه إمامه؛ يجب أن يُرفَض إذا أراد الإنسان أين يكون (رافضيا) بنصاب كامل، ولهذا قال الله حسب الحديث القدسي: «فَارْفُضُوا يَا أَهْلَ اَلْأَرْضِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ غُرُورِهَا».

لقد كان الشيعة الذين أسسوا قم المقدسة كوطن جديد محل تقدير وعناية ودعاء الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)، ولذلك عندما شكوا للإمام العسكري (عليه السلام) الظالم موسى بن بغا كان الإمام يدعو لهم في قنوته، فكان يقول: «وَاِجْعَلْهُ اَللَّهُمَّ [أي اجعل الإمام] فِي أَمْنٍ مِمَّا يُشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَرُدَّ عَنْهُ مِنْ سِهَامِ اَلْمَكَايِدِ مَا يُوَجِّهُهُ أَهْلُ اَلشَّنَآنِ إِلَيْهِ وَإِلَى شُرَكَائِهِ فِي أَمْرِهِ وَمُعَاوِنِيهِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ اَلَّذِينَ

جَعَلْتَهُمْ سِلاَحَهُ وَحِصْنَهُ وَمَفْزَعَهُ وَأُنْسَهُ، اَلَّذِينَ سَلَوْا عَنِ اَلْأَهْلِ وَاَلْأَوْلاَدِ، وَجَفَوُا اَلْوَطَنَ، وَعَطَّلُوا اَلْوَثِيرَ مِنَ اَلْمِهَادِ، وَرَفَضُوا تِجَارَاتِهِمْ، وَأَضَرُّوا بِمَعَايِشِهِمْ، وَفُقِدُوا فِي أَنْدِيَتِهِمْ بِغَيْرِ غَيْبَةٍ عَنْ مِصْرِهِمْ، وَخَالَلُوا اَلْبَعِيدَ مِمَّنْ عَاضَدَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، وَقَلَوُا اَلْقَرِيبَ مِمَّنْ صَدَّ عَنْ وِجْهَتِهِمْ، فَائْتَلَفُوا بَعْدَ اَلتَّدَابُرِ وَاَلتَّقَاطُعِ فِي دَهْرِهِمْ، وَقَطَعُوا اَلْأَسْبَابَ اَلْمُتَّصِلَةَ بِعَاجِلِ حُطَامِ اَلدُّنْيَا، فَاجْعَلْهُمُ اَللَّهُمَّ فِي أَمْنِ حِرْزِكَ وَظِلِّ كَنَفِكَ، وَرُدَّ عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِمْ بِالْعَدَاوَةِ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَجْزِلْ لَهُمْ عَلَى دَعْوَتِهِمْ مِنْ كِفَايَتِكَ وَمَعُونَتِكَ، وَأَمِدَّهُمْ بِتَأْيِيدِكَ وَنَصْرِكَ، وَأَزْهِقْ بِحَقِّهِمْ بَاطِلَ مَنْ أَرَادَ إِطْفَاءَ نُورِكَ. اَللَّهُمَّ وَاِمْلَأْ بِهِمْ كُلَّ أُفُقٍ مِنَ اَلْآفَاقِ وَقُطْرٍ مِنَ اَلْأَقْطَارِ قِسْطاً وَعَدْلاً وَمَرْحَمَةً وَفَضْلاً، وَاُشْكُرْهُمْ عَلَى حَسَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ، وَمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى اَلْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبَادِكَ، وَاِدَّخَرْتَ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِكَ مَا تَرْفَعُ لَهُمْ بِهِ اَلدَّرَجَاتِ، إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَحْكُمُ مَا تُرِيدُ».

والذي يهمنا مما ورد في دعائه الشريف أنه (عليه السلام) قد وصفهم بأنهم قد (رَفَضُوا تِجَارَاتِهِمْ)، فأن تكون (رافضيا) ذا نصاب كاملٍ قد يقتضي أحيانا أن ترفض حتى التجارة التي تلهيك عن ذكر الله، أي عن الالتزام بالعهد الإلهي المأخوذ عليك. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

كذلك نلاحظ أنه (عليه الصلاة والسلام) قد وصفهم بأنهم قد «جَفَوُا اَلْوَطَنَ». وهذا يمكن تصوره بأنهم آثروا الترحال والهجرة عن أوطانهم في سبيل الحفاظ على دينهم والدعوة إليه وإحقاق الحق وإزهاق الباطل والقيام بالقسط، كما قال عليه السلام: «وَأَجْزِلْ لَهُمْ عَلَى دَعْوَتِهِمْ مِنْ كِفَايَتِكَ وَمَعُونَتِكَ، وَأَمِدَّهُمْ بِتَأْيِيدِكَ وَنَصْرِكَ، وَأَزْهِقْ بِحَقِّهِمْ بَاطِلَ مَنْ أَرَادَ إِطْفَاءَ نُورِكَ. اَللَّهُمَّ وَامْلَأْ بِهِمْ كُلَّ أُفُقٍ

مِنَ اَلْآفَاقِ وَقُطْرٍ مِنَ اَلْأَقْطَارِ قِسْطاً وَعَدْلاً وَمَرْحَمَةً وَفَضْلاً، وَأُشْكُرْهُمْ عَلَى حَسَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ، وَمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى اَلْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبَادِكَ».

مثل هؤلاء الذين تتوفر فيهم هذه النيات الشريفة والخصال الحميدة والصفات السامية؛ يرتفعون في مقاماتهم حتى يبلغوا مقام أن يكونوا للإمام (عليه السلام) «شُرَكَاءَهِ فِي أَمْرِهِ وَمُعَاوِنِيهِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ اَلَّذِينَ جَعَلْتَهُمْ سِلاَحَهُ وَحِصْنَهُ وَمَفْزَعَهُ وَأُنْسَهُ». فيا له من مقام جليل ونعتٍ عظيم.

والسبيل إلى بلوغ هذه الرتبة العالية إنما يكون بترجمة ما مضى عليه أولئك الأوائل المحظيون بمثل هذا الدعاء الشريف من إمام عصرهم الزكي العسكري (عليه الصلاة والسلام)، فلقد قال: «فَائْتَلَفُوا بَعْدَ اَلتَّدَابُرِ وَاَلتَّقَاطُعِ فِي دَهْرِهِمْ، وَقَطَعُوا اَلْأَسْبَابَ اَلْمُتَّصِلَةَ بِعَاجِلِ حُطَامِ اَلدُّنْيَا».

نحن أيضا إذا ائتلفنا في هذا الوطن الجديد وقطعنا الأسباب المتصلة بعاجل حطام الدنيا، فلم نؤثر البقاء

في بلداننا التي اعتدنا عليها، ورفضنا أن نكون أذلاء للحكومات أو أسراء للتجارات والمهن، واهتممنا بالوفاء بالعهد والتمهيد لظهور إمامنا وتحقيق غايته في إبطال الجبت والطاغوت.. حظينا - إن شاء الله - بأن نكون شركاء لإمامنا صاحب الزمان المهدي (عليه الصلاة والسلام) ومعاونيه وسلاحه وحصنه، حتى أنه (أرواحنا فداه) يأنس بنا ويفزع إلينا.

هكذا يجب أن يكون خدام المهدي (عليه السلام) ومواطنو هذا الوطن الجديد، حتى تتعجَّل لنا السعادة بمشاهدته وظهوره المرتقب، كما نزوره عليه السلام قائلين:

أشهد أن الله اصطفاك صغيرا وأكمل لك علومه كبيرا، وأنك حيٌّ لا تموت حتى تُبطل الجبت والطاغوت. اللهم صلِّ عليه وعلى خُدَّامه وأعوانه على غيبته ونأيه، واستره سترا عزيزا، واجعل له معقلا حريزا، واشدد اللهم وطأتك على معانديه، واحرس مواليه وزائريه. اللهم كما جعلت قلبي بذكره

معمورا، فاجعل سلاحي بنصرته مشهورا، وإن حال بيني وبين لقائه الموت الذي جعلته على عبادك حتما مقضيًّا، وأقدرت به على خليقتك رغما، فابعثني عند خروجه، ظاهرا من حفرتي، مؤتزرا كفني، حتى أجاهد بين يديه، في الصف الذي أثنيتَ على أهله في كتابك، فقلتَ: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾.